(٢) الجلسة الثانية : القضية الفلسطينية والسينما العربية

كيف قدمت السينما العربية القضية الفلسطينية من واقع تجربتكم ومتابعتكم الشخصية لها ؟

كريستيان غازي : طرحت السينما العربية القضية الفلسطينية اساسا عبر خطين : التجاري ، والوثائقي الذي نقل بعض الجوانب من القضية فوتوغرافيا وبدون منهجية محددة ، وذلك كما فعلت العديد من المؤسسات السينمائية التي ترغب فقط في نقل صورة تحرك العواطف السطحية بدون ان تقدم مادة الفيلم في اطار سياسي واضح . ولست انوي ان اتناول السينما التجارية لانها بنظري مرفوضة اصلا ، فهي قائمة على استغلال عاطفة الجماهير وعفويتها. لهذا سأتناول السينما الجديدة فقط ، وهي التي تحاول ان تعالج القضية الفلسطينية من منظار محدد . اني ارى في هذه السينما الجديدة طبيعة مزدوجة . انها السينما الروائية التي تأخذ بذات الوقت شكلا تسجيليا ، وهناك ايضا السينما التي تعتمد الخط التسجيلي الذي ينطلق من ذهنية ومن خلفية فكرية متقدمة . وبصدد السينما الروائية ـ التسجيلية ، كنت اول من قدم هذا النمط من الافلام ، ففي عام ١٩٦٧ اخرجت فيلما عن القضية معتمدا على اقتباس روائي من برخت ، وكان يحمل اسم «الفدائيون» ، ورغم اني عالجت الجانب الوطني وتناولت ضرورة التحام الجماهير العربية بالمقاومة ضد الاحتلال ، اي اعتمادا على تحريك الحس الوطني بشكل مباشر، ولم يطرح الفيلم اية مدلولات طبقية واضحة فانه قد منع في معظم البلدان العربية ، ولم تقبله سوى سوريه واليمن الديمقراطية .

بعد ذلك ، ومع تطور مفاهيم المقاومة والكفاح ضد الصهيونية والامبريالية ، تطرقت في تجربتي الثانية الى مشاكل داخلية تمس بنية المجتمع العربي نفسه . لقد كان طموحي ان انطلق من الخلفية التاريخية للقضية انتهاء بالواقع ، غير ان الامكانات المادية والضغوطات الرقابية لم تسمح لي بالتطرق للمشكلة على هذا النحو . لذلك اقتصرت تجربتي الثانية على جانب واحد هو الواقع الراهن ، اي تناول المجتمع العربي الذي تهيمن عليه ايديولوجية الاستهلاك وبشكله المتخلف ، وليس بشكله النامي كما في البلدان المصنعة . كما تناولت التناقضات داخل الوضع الفلسطيني ، اي بين التيارات السائدة والطموحات التي تطرح مشروعا جديدا لبناء الثورة الفلسطينية ، ومسالة قدرة هذه الطموحات على الترجمة الى ممارسة . لذلك رفضت ان العب اللعبة التجارية التي تضع النصر جاهزا على طبق امام الجماهير ، اي تكريس الاوهام والتعامي عن الواقع .

ان هدفي من هذا النمط من المعالجة السينمائية للوضع العربي الداخلي ان اتوصل الى صيغ من الممارسة التي تترجم التحليل بالعمل . وحاولت ان اعبر ان هذه الممارسة لا تنبت بشكلها السليم والواضح الا بين الطبقات المسحوقة في عالمنا العربي ، التي تسند النضال الفلسطيني وتمده بمزيد من الطاقات القادرة على التصدي للقتال . ان المسالة التي شغلتني باستمرار ، وما تزال تشغلني ، هو ان اجد الصيغة السينمائية الجديدة والملائمة لهذا النمط من العمل .

فيصل ياسري : لا نزيد عن تكرار بدهية ، عندما نقول ان القضية الفلسطينية تشغل الحيز الاساسي من اهتمام الجماهير . وبعيد حرب ١٩٦٧ غدت القضية الفلسطينية بتطوراتها المختلفة قضية آنية وملحة عند كل الجماهير ، ولكونها الشاغل الاساسي للجماهير منذ ذلك الحين ، فانه من المتوقع جدا ان يلجأ المنتج التاجر الى استغلال القضية للربح. انها غدت بنظر هذا المنتج البضاعة الرائجة التي ينطبق عليها الشعار السينمائي التقليدي « هكذا تريد الجماهير » ، ان هذا النمط من المنتجين يهتم بقوانين السوق ويتعامل وفقها ، انه يلبي حاجات السوق مثل الجنس او العنف او العواطف المصبوغة بالمواقف الدرامية ذات الاطار الاجتماعي المبتذل والمزيف . هكذا فهم المنتجون اتجاهات السوق الرائجة ، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبروز المقاومة ، كان السباق على اشده ، كل منتج يريد ان يسبق الاخرين في طرح فيلم جديد عن القضية ، وكان هؤلاء المنتجون يدركون ان انتاجهم سيىء ، مع ذلك كانوا متعجلين لانتاج المزيد قبل ان يكتشف الجمهور فسادها، او لادراكهم ان الجماهير يمكن ان تتقبل هذه الافلام لحماستها وحبها للنضال المسلح . وهكذا كانت دفعة الافلام الاولى التي تصدت للقضية من أسوأ الافلام واكثرها تزويرا وبنفس الوقت كانت أنجحها تجاريا.